المستشرقون ودورهم التخريبي
في التراث العربي الإسلامي

الدكتور ناصر القريشي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين وصحبه الميامين .

مما لاشك فيه ان المستشرقين لعبوا دوراً فاعلاً ومؤثراً في خدمة مسيرة التاريخ الاوربي التخريبي في العالم الاسلامي ..

وقد تكرست خدماتهم في مساعدة الدور التخريبي الاوربي الى ناحيتين رئيسيتين .

الناحية الاولى : فتكمن في تحصين العقل الاوربي من معطيات ومفاهيم ومؤثرات الحضارة العربية الاسلامية القادمة ...

اما الناحية الثانية : فتتجلى في تدعيم وانضاج امكانيات الغرب الاوربي على الصعيد السياسي والثقافي (الحضاري) لغزو العالم الاسلامي وتخريب مرتكزاته او تهديم قيمه مما يعني خلق اجواء مناسبة ليتم في نهاية المطاف تكريس الوجود الاستعماري الاوربي في العالم الاسلامي لاسيما في منطقة الشرق المتوسط ..

وعليه قسمت البحث على مبحثين اساسيين هما :

١. الاول : الاستشراق ونشأته واهدافه.
٢. الثاني : المستشرقون ودورهم التخريبي والمستشرقون ودورهم التخريبي تجاه الشخصية المحمدية (ﷺ وكذلك تشويه ترجمة القرآن الكريم .

سائلين المولى عز وجل ان يوفق الجميع في البحث والدرس والرد على المخربين والضالين

ماهو الاستشراق

الاستشراق : كلمة حديثة اصبحت متداولة منذ القرن الماضي وهي ترجمة لكلمة (orientalisme) وبشكل موجز يعني علم يختص بدراسة لغات الشرق وتراثهم وحضارتهم وماضيه وحاضرهم . ويعرف ادورد سعيد الاستشراق بأنه (الاطار المعرفي لعلاقة الغرب بالشرق ، ومجال الاستشراق لايقتصر على الخطاب الاكاديمي الاستعماري والانثروبولوجي والتاريخي المتعلق بالشرق بل يمتد ليشمل كل مجالات التي يصار فيها الى الافصاح عن امور شرقية سوى كان هذا الافصاح

على هيئة خطاب ام في اطار مجازي ادبي ام في كاريكاتير او عنوان صحفي[1]

وان لفظة مستشرق تثير في نفوسنا احاسيس شتى بيد انها لاتخلو من الشك والارتياب ليس من صنعنا ولا من طبيعتنا بل انهما من صنع بعض المستشرقين الذين لم يتجردوا من يهوديتهم او نصراتيتهم او عرقيتهم حين كتبوا عن العرب او عن الاسلام وضرر هؤلاء لم يهدم للاسلام تراثاً ولا للمسلم ديناً قدر ما كان في كفاياتهم من ضرر على ابناء جلدتهم من تشويه للحق ومجانية للبحث العلمي الصرف الذي يقرض على الدارس امانة الضمير ، وردد ما قاله اسلافهم المدفوعون بعصبيتهم الحمقاء دون بحث او تحميص تخلوا عن صفة العالم التثبت وهم بذلك قد وسخوا الصور والمفاهيم المشوهة والمقصودة في عقول واذهان ابناء بلدهم وفي اذهان رجال اللاهوت حين اعتمدوا على كتابات مستشرقي عصرهم فأتسعت بجهودهم هوة التشويه التي تراها اليوم سائدة في وسائل الاعلام الاوربية وبدلاً من رؤية الواقع دون موارية يحاول الغرب زعزعة الثقة في الاسلام بابراز وجهات النظر التي لاتتعلق بروح الاسلام او تعاليمه السمحاء .

ان لقاموس كارلايل ولريشان ولمئات من امثالهم ماضياً وحاضراً اراء في النبي محمد (ﷺ) والقرآن الكريم والسنة والتاريخ والادب والنصوص والفلسفة والطب والفلك والعمارة والريازة ... احتوتها كتبهم ولا اصفها ببعدها من العقل[2].

ومجافاتها للبحث النزيه ،فأن المستشرق توماس كارلايل لم يعجب بمحمد(ﷺ) نبياً مرسلاً مبلغاً لرسالة آلهية بل كان اعجابه منصباً كله على الدور وعظمة هذا الدور في الاصلاح .

اما المستشرق رينان فأنه لم ير في الحضارة الاسلامية جديداً لانها حضارة نصرانية ويهودية معاً غير انها مكتوبة بأحرف عربية وجاء غيره الكثير ، من الذين قالوا ان الوهد نصراني والتصوف بوذي والفلسفة ايرانية والكلام يوناني والطب سرياني وان العرب مقلدون للامم السابقة ، ولو اتبع هؤلاء اسلوب البحث الموضوعي لوجدوا ان العلماء المسلمين عرباً او غير عرب كانوا ينسبون العلم لاهله في الوقت

---

[1] معن ،خليل ابراهيم ، التبيان الثقافي بين المستشرق والمجتمع العربي ، سلسلة كتب الثقافة المقارنة ،العدد الاول ، كانون الثاني/ ١٩٨٧ ،ص٢٩ .

[2] الدكتور قاسم السامرائي ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، بغداد ،١٩٨٣ ص٨٢ .

الذي كان الاغريق لاتعرف مصادره اعمالهم وكان اللاتينيون يسرقون اعمال العلماء العرب المسلمين وينسبونها بعد ان نقلوها الى لغاتهم وعلماءهم مثل ارسطو طايس وجالينوس ...وغيرهم [1]

نشأة الاستشراق :-

هناك الكثير من الاراء حول اسباب نشوء الاستشراق فمنهم ارجعه الى عوامل مختلفة منها احتكاك المسلمين بالروم ان محمد حسنين هيكل في كتابه (حياة محمد)ذكر:

(وقف المسلمون والنصارى موقف خصومة سياسية) [2].

ويعزي ذلك الى جهل الغرب بحقيقة الاسلام وسيرة النبي (ﷺ)[3]. وقسم آخر ممن كتب عن الاستشراق ان بداية الاستشراق كانت بسبب الحروب الصليبية حين بدأ الاحتكاك السياسي والديني بين النصرانية والاسلام في فلسطين ، وحجة هؤلاء ان العداء السياسي استحكم بين النصارى والمسلمين في ايام نور الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي ومن ثم ايام اخيه العادل اثر الهزائم المتكررة التي الحقها هؤلاء القادة المسلمين بالصليبين وفرض كل هذا على الغرب ان ينتقم لهزائمه .

وقد ذكر ابن الاثير (ت٦٣٠هـ) في (الكامل في التاريخ) خبراً طريفاً مفاده ان بطريرك بين المقدس خرج مع كثير من مشهوري الصليبين وفرنسانهم حين فتح صلاح الدين الايوبي بيت المقدس ، ولبسوا السواد واظهروا الحزن على ذهاب بيت المقدس ودخول الافرنج يطوفونها ويستنجدون اهلها ويستجيرون بهم[4].

ويحثونهم الاخد بثأر بين المقدس وصوروا المسيح وجعلوا صورة رجل عربي امامه والعربي يضرب المسيح وقد جعلوا الدماء تسيل على صورة المسيح وقالوا لهم :

(هذا المسيح يضرب محمد نبي المسلمين وقد جرحه وقتله) . وقسم آخر يرجح نشأته الى الحرب الدموية التي شبت بين المسلمين في الاندلس خاصة بعد الاستيلاء على طليطلة من قبل الفونسو السادس سنة ٤٨٨

---

[1] قاسم السامرائي ، الاستشراق بين الموضوعية والاقتصادية ،ص٨٣ .

[2] محمد حسنين هيكل ، حياة محمد (ﷺ) ، القاهرة ،١٩٨٢،ص٤٣ .

[3] المصدر نفسه، .ص٤٣ .

[4] السامرائي ، الاستشراق بين الموضوعية ،ص٦١ .

هـ/١١٠٩م ونشأته حركة النوعية والتكفير عن الذنوب وكان مركزها در كلوني .
وقسم آخر رأى ان نشوء الاستشراق وخاصة اصحاب اللاهوت كان لحاجة هؤلاء الى تفهم العقلية السامية لعلاقة هذه العقلية بالتوراة والانجيل لذلك انصبت دراسة هؤلاء على اللغة العبرية والارامية والعربية وآدب هذه اللغات .
وقسم آخر راى ان الاستعمار لبعض البلدان العربية والاسلامية في الشرق وشمال افريقيا وجنوب شرق آسيا وحاجة هؤلاء الى فهم عادات وتقاليد ومن ثم اديان هذه الشعوب التي استعمروها لتوحيد سلطانهم وتثبيت سيطرتهم الاقتصادية عليها ، كل ذلك دفعهم الى تشجيع الاستشراق بصور شتى وادلة دولهم عنايتها وتشجيعها وحثت جامعاتها على دارسته [١] .
وقسم آخر جمع بين كل هذه العوامل والاهداف واضاف اليها اسباباً اخرى ساعدت او قادت الى نشوء الاستشراق والدراسات الشرقية منها : فائدة الدراسات الشرقية للتجارة ونشاط بعثات التبشير النصرانية بين المسلمين فبدأت المؤسسات الدينية كالفاتيكان وما تبعه من الكنائس الكبرى في جميع انحاء اوربا بفتح مدارس لتعليم العربية للرهبان المبشرين وفرض على الملوك والامراء والبلديات تاسيس مدارس اللغات الشرقية في عواصم بلدانهم وتخصيصها بكراس مستقلة في جامعاتها فاستجابوا له[٢] .
ان للاستشراق قديم وحديثة بينه واحدة لاتختلف ، وهي بنية العلاقات السيطرة والهيمنة الاستعمارية والسياسية والاقتصادية والثقافية للغرب على الشرق فالاستشراق ليس نتيجة للامبريالية وانما هو جزء لايتجزأ منها ، وتقوم الان المنظمات الصهيونية وليس الاستعمار وحده بتحويله والتشجيع على اقامة الاستشراق اخر تحول الاشتراق الى العلوم الانسانية وصيفها يكون الاستشراق قد اصبح اشد قوة وعمقاً وانه يقوم بتغير جلده يدخل في مرحلة اخطر [٣].

---

[١] السامرائي ، الاستشراق بين الموضوعية والاقتصادية ، ص٤١.
٢ باز، ةعبد الكريم علي ، افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الاسلامي ، ط١ ، مكتبة تهامة ،جدة ، ١٩٨٣،ص١١٧ .
٣ علي ، محمد كرد ،الاسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،١٩٦٨،ص٦٥.

الاستشراق اهدافه وآثاره :

ان دراسة المتشرقين للاسلام قامت من اول الامر بوصي من الكنيسة الكاثوليكية خاصة للانتقاص من تعاليم الاسلام واهدار قيم تعاليمه حرصاً على منصب الكثلكة من جانب وتعويضاً من الهزائم الصليبية في تحرير بيت المقدس من جانب آخر . ولقد كان التبشير والاستشراق للطلائع الاستعمارية لغزو المسلمين والسيطرة على بلادهم ، ولقد وفد بغداد وغيرها من المواضي الاسلامية عشرات من كتاب الكتيبه ينهلوا في المعرفة المنتثرة فيها وترجمتها الى لفتهم وخاصة اللاتينية ويمكن اعتبار رحلاتهم العلمية الى العالم الاسلامي اول موجة استشرافية بالمعنى الصحيح الذي نقصده فقد تعلموا العربة ونقلوا علومها الى شعوبهم ، الا انهم نقلوا افكاراً مشوهة عن العرب والمسلمين وصوروا نبيهم ودينهم ابشع تصوير .

فقالوا عن الرسول (ﷺ) بأنه كاردينال منشق على البابوية طمع في كرسيها فلما خابت اماله ادعى النبوة .

كما صوروه لصاً وقاتلاً وزير نساء وكافراً وساحراً ودجلاً وخائفاً وفاجراً وشيطاناً ... وارهابياً يشيع الموت وينشر الدمار وداعيته اباحية ، اتتخذ من شيوعية المراة وسيلة لهدم الكنيسة المسيحية وفضائل الاخلاق[1]

١. صوروا الاسلام مزيجاً مشوهاً مستقى من اصول مسيحية ويهودية تلقاها الرسول (ﷺ من اساتذته احبار يهود ورهبان النصارى ، ووصفوا الاسلام بالزندقة ، اوفرقة مشتقة عن الكنيسة وصوروا القرآن الكريم بأنه كتاب يتقاضى بعضه بعضاً وغير منسجم في افكاره وغير منتظم فيما يحويه ، وكل ما فيه يخالف الفعل .
٢. اما المسلمون فهم وحوش وابناء شياطين واهل لواط وعبدة اصنام . وقد عمدوا على المساعدة على الدس والافتراء وتأجيج حقد الشعوب الغربية ضد العرب والمسلمين اضافة الى استقلالهم احداث اخرى حصلت ايام السلاجقة في فلسطين لتقوم الكنيسة الغربية في دفع شعوبها للزحف نحو البلاد العربية والبدء بالحروب الصلبية [2] . وقد كان لها هدفان :
   أ. القضاء على معالم الاسلام وانهاء دوره الذي غطى على الكنيسة الغربية .

---

[1] السامرائي ، الاستشراق بين الموضوعية ،ص٥٧

[2] نجيب العفيفي ، المستشرقون ،ج١ ، القاهرة ،١٩٦٣ ،ص٩٨ .

ب.تاسيس مستعمرات في الاراضي العربية بنقل ملوك اوربا وامراؤها مراكز حكمهم اليها بعد ان اشتد الصراع بينهم وبين البابا في روما على السلطة – وهو الهدف الرئيس لحملات الصليبين .

لقد هدف الضرب ان يستعمر عقولنا قبل ان يغزو ارضنا فقد كانت هناك ولاتزال (ثقافة غربية تتسلل الى عقل انساننا في هذه المنطقة بأساليب مباشرة وغير مباشرة لتوجيهه لمصالح الغربي وبهذا الطريق خدم المتشرق ذلك المستعمر واردا ان يذل علومنا لانه اخضع كل علومنا الى مقاييسه وصوره واطره تحت اسهم البحث العلمي الرصين وطرق البحث الجديدة والنظرة العلمية المجردة ، راغباً ان يستعمر ماضينا كما استعمر حاضرنا (سابقاً) لذلك فان اعمالهم قد اتجهت عدة اتجاهات هي كما يلي :

١. بعد ان نجحوا في شدنا الى الماضي ، اخذوا يشككون به ويزيفون بعضاً من حقائقه تزييفاً يرفضه أي مفكر ، وقد برز بينهم من يكشف ذلك التزييف دفاعاً عنا وبعضهم كان يقصد من دفاعه هذا تحرر امور اهم واخرى .
٢. ان يغلبوا اموراً ليست ذات قيمة تاريخية على حقائق ثابتة عن طريق تحقيق مخطوطات لم تنل عناية الماضي فجعلوا لها حاضراً درسوا من خلالها الماضي ، فنثرت دواوين واشعاراً وفلسفات طائفية وآراء فقهية لم يلتفت ذلك الماضي الزاهر لها فجعلوا حولها اطراً لدراسات اجتماعية وسياسية ، واخرجوا من خلالها نظريات لتحليل الفرد العربي والمجتمع العربي قد لاتصل الى مرتين القبول فجعلوا منها حقائق راحوا يبنون عليها فصارت بمرور الايام بديهات يعتمدها الغربي في بحوثه وكأنها حقائق ثابتة ونجحوا في جر الكثير من ابناءنا للاخذ بها كمقايس لدراسة ذلك الماضي العظيم[١] .
٣. بعد ان اثبتوا عظمة الماضي ، نسبوه الى غيرنا ولعل هذا من اخطر مايشددون عليه ، فالفرس والهنود والرومان واليونان كانوا في – رأيهم – اصحاب فضل على ذلك الماضي ، فبدون حضاراتهم لم تكن لنا حضارة عظمة ، وهذا من كانت الشعوبية ترمي اليه فيما مضى ، والغرب قد تبنى هذا الامر من بعدها فكتب فيه النظريات الكثيرة ، وكثير من علمائنا يتغنى بتلك النظريات .

---

[١] الجبري ، عبد المتعال محمد ، السيرة النبوية واوهام المستشرقين ، ط١ ،مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٨ ،ص٩٦ .

ان المتشرقين قد اتخذوا من ماضياً اداة لتشويه حاضرنا مزيفوا ذلك الماضي كما زينوا الحاضر ، حين عكسوا للمجتمع الغربي اموراً ليت هي صلب حقيقتنا ، وكانت الدوافع كما ذكرنا مرة دينية واخرى سياسية وثالثة هي (الجهل) فالغربي لايمكن ان يفهم الشرقي فهماً كافياً من خلال بضعة كتب بتحقيق او تترجم وان التعرف الذي يدعيه الغربي لحقيقية الشرق ان هي الا ضرب من المثالية اللا واقعية اذ ان الشرق لا وجود له ضمن الاطره التي وضعها المستشرق له لان في الشرق مجتمعات ذات بنيان مختلفة متعددة من المتعذر على الغربي ان يحصرها في اطار معين واحد والمتشرق من خلال هذا المفهوم يخدم الغرب[1]

مفاهيم الغرب من الاسلام ودورهم التخريبي فيه :

ان مفاهيم الغرب من الاسلام كونتها عوامل شتى ، وتيارات مختلفة متباينة في الهدف والغاية ، ومتفقة كلها على الحط منه والتقليل من شأن دعوته ، وتكذيب رسالة نبيه ووصمه بالدجل والكذب والاحتيال والنصب والادعاء والسفه والتعصب ... وغيرها من الصفات ، ولعل من اهم الرواقد التي اغنت الخيال الاوربي عن حياة المساعين بصورة خاصة والشرق عموماً هي كتابات الرحالين والمغامرين الموغلة في الخيال والاصطناع والتلفيق ، لانه هم الكاتب كان منصباً على انتزاع الاعجاب من قارئية وسامعيه فكان يضفي على كتابه اثواباً من البطولات والبطولات للنفرد بها الى المكتشفين .

هذا وان الاكتشاف كان ينسب دائماً ان الرجل الاوربي ويطمئن اسم المكتشف الحفيفي عمداً واصبح الاكتشاف مكملاً للتنصير .

الرافد الاخر هو كتابات النصارى واليونان او النصارى العرب الذين عاشوا في ظل الحكم العملية الاسلامي في سوريا مصر والعراق حيث تسنم بعضهم مناصب عالية كيدحنا الامشقي ويحيى بن عدي ..

فقد كتب يوحنا الدمشقي كتابه (Dialexles) محاورة وقدحسب هجموماً عنيفاً على الرسول الكريم واتهمه بأختلاف الوحي لاشباع رغباته الدنيويه مأجج هذا الاتهام المحور التقليدي لجميع كتابات القرون الوسطى ومن كتاب هذا الدمشقي جاءت قصة زينب وزيد [2]

---

[1] الجندي ، انور ،الاسلام والثقافة الغربية ، مطبعة الرسالة ، مصر ، (د.ت) ، ص١٥٦ .

[2] حتي ، فيليب ،الاسلام منهج حياة ، ترجمة عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص١١٣ .

لقد تظافر الجهل بالاسلام وتساهل الحكام وخوفهم من المستعمر ومن ثم حماية الاستعمار البريطاني في جنوب الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي والعراق والهند والسودان والاستعمار الفرنسي في شمال افريقيا وسوريا ولبنان والهولندي لاندونيا ، ولسماحة المسلمين وكرمهم للضيف الغربي كل هذا ادى الى خلق هالة من الغرور واقنعتهم بأن تنصر المسلمين سهل جداً وتم فتح المدارس والمستشفيات والجامعات والتخطيط والتنظيم ومع كل هذا فلقد مثلت كل الجهود في تنصير المسلمين[١] .

المتشرقون ودورهم التخريبي تجاه الشخصية المحمدية (ﷺ) :
لقد شغلت سيرة الرسول الكريم (ﷺ) حيزاً هائلاً من كتاباتهم ، فلم يتركوا صغيرة ولم يغادروا كبيرة الا واوجدت لهم ميولهم المقصودة تفسيراً او تعليلاً يحبط منه ، فبذلوا جهداً جباراً لاقناع قارئهم من النصارى بالطبع بان أي رجل يتصف بمثل هذه الصفات والادعاءات لايمكن ان يكون نبياً مرسلاً ومرادهم ان الاسلام ليس ديناً الهياً وان القرآن من صنع محمد (صلى الله عليه وسلم) لفقه وزوره حتى يبرر اعماله الدنيوية امام العرب الاجلان الجهاد اما نحن اصحاب الدين الصحيح فلا يتطلب علينا دجل هذا !! وقد ذهب بهم الخيال المشوب بالكذب الى حد انهم قالوا : ان محمداً كان كاردنالاً كاثوليكياً وقال لوبون* .
(ان محمداً سافر مع عمه الى سوريا مرة وتعرف في بصرى براهب نسطوري في حرير نصراني ، وتلقى منه علم التوراة)[٢] .
وقال : (واجمع النبي (ﷺ) بالراهب مرة ثانية فأطلعه على علم التوارة) وهو يشير بذلك الى ماورد في سيرة النبي (ﷺ) لابن هشام وهو يثير الى ماورد انه كان يذكر ذلك على عدد من الموالفين في السيرة النبوية الشريفة ، وبالرجوع الى السيرة النبوية لابن هشام(ت٢١٨هـ) نجد انه اورد القصة بصيغة التمريض ، وكرر عبارة (فيما يزعمون) او (زعموا) ثماني مرات وهذا دليل على ضعفها[٣] .

---

١ كارليل ، توماس ، الابطال ، ترجمة محمد السباعي ، دار الكتاب العربي ،القاهرة ، (د.ت) ، ص١٥٤.
* مستشرق فرنسي .
٢ لوبون ، غوستاف ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص١٨ .
٣ د. شاكر محمود عبد المنعم ، نموذج من تهافت الاستدلال في دراسات المستشرقين مقال في مجلة المؤرخ العربي ،عدد٣٠ ، ١٩٨٦ ،ص٢٩٣

وصار الرسول (ﷺ) في نظر المتشرقين الذين ظهروا في عصر التنوير مثلاً مصلحاً علمانياً غير مسيحي قاد صحيه ومؤيديه من اجل التحرر من التعاليم اللاهوتية الغامضة .

اما المتشرق كونت هنري بولينسفيه (١٦٥٨-١٧٢٢) فقد نشر كتاباً باللغة الفرنسية عنواتة (حياة محمد) سنة ١٧٣٠م ترجم بعد ذلك الى الانكليزية فقد رفض البديهيات التي كانت سائت في كتابات رجال الدين في العصور الوسطى عن الرسول الكريم وانه كان بربرياً قاسياً ، وفاسداً جدماً مع انه المؤلف يحيل الى اظهار فضل المسيحية على الاسلام لكن يس هناك تطرق في وجهة نظره اذ يقول: (ان كل ماجاء به محمد من مباديء دينية صحيح لكنه لم يأت بكل ما هو حقيقة وهذا هو كل الاختلاف بين ديننا ودينه).

اما الاسكتلندي السير وليم ميور ودراسته الموسومة (حياة محمد (ﷺ) وتاريخ الاسلام) ومع ان ميسور اعتمد على المصادر التي اعتمد عليها شبرنحر امثال (تاريخ الرسل والملوك) للطبري (ت٣١٠هـ) و (الكامل في التاريخ) لابن الاثير(ت٦٣٠هـ) وكتب السيرة لابن هشام (ت٢١٨هـ) وابن اسحق(ت١٥١هـ) لكنه نظر الى الرسول بمنظار تعصبيه الارتزوكسي الصيني حينما اعتبر الرسول (ﷺ) اداة من ادوان الشيطان ، وحينما قلل من اهمية الحضارة العربية الاسلامية وانكر اصالتها[١].

اما هنري لامانس المبشر المتشرق المتعصب فقد اولى اهتماماً واضحاً من خلال مقالاته حول (القرآن والحديث) و (محمد وامانته) و (جمهورية التجار في مكة) فهو مثلاً ينقذ الرسول الكريم (ﷺ) ويميل الى المكيين المعادين الى الدعوة الاسلامية وهو يفضل الامريين على غيرهم في مقالاته عن معاوية الاول ، ويتهيم على الرسول[٢]. بوصفه آخرون امثال المستشرق بيكر وشاقت بالتعصيب الديني مما اضعف قيمة ارائه فهو يتنكر كتب السيرة والحديث النبوي الشريف بأعتبارها موضوعة ومشكوكا فيها من جهة اذ انه يعتمد على عدد من الاحداث ويتقبل الروايات التي وردت في الكتب التاريخية التي تؤيد وجهة نظرة من جهة ثانية . فقد عاش لا ماشفي فترة التصارع الطائفي في لبنان كما ان صار المدافع عن السياسة الفرنسية وسيطرتها على اجزاء من المنطقة العربية في اعقاب العرب العالمية الاولى .

وقال لوبون : (لم يتكلم محمد (ﷺ) عن بعثته الا بعد بلوغه الاربعين من عمره) وهي محاولة لانكار الوحي اذ ليس بوسع النبي (صلى الله عليه

---

[١] ناجي ، عبد الجبار ، الموسوعة الصغيرة ، عدد (٨٥) ، ص٩٩ .

[٢] عبد الحميد ، عرفان ، المتشرقون والاسلام ، بغداد ،١٩٦٩ . ص٦٢

وسلم) ، ولا غيره من الانبياء ، (عليهم السلام) ان يتكلموا عن رسالاتهم الا بامر الله ، قال تعالى : (ماكانت تدري ما الكتاب ولا الايمان) [١].
وقال تعالى (ماكانت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون)[٢] .
وقال تعالى (ان يوص الي الا انما انا نذير)[٣] .
وعلى هذا القرار الذي يستهدف انكار الوصي يقول لوبون[٤] :
(ومع ان محمداً لم يبلغ علم التوراة) وقال لوبون ايضاً : (ويقال ان محمداً كان قليل التعليم وترجح ذلك ، والا لوجدت في تأليف القرآن ترتيباً اكثر مما فيه ونرجح ايضاً ان محمداً لو كان عالماً لما اقام ديناً جديداً فالاميون وحدهم هم الذين يعرفونه كيف يدرك امر الاميين .
فهو ينكر الوحي ، ويرى ان القرآن الكريم الف ورتب بخراج شخصي بينما كان محمد (صلى الله عليه وسلام) يعارض جبريل (عليه السلام) بالقرآن مرة في كل عام فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه مرتين . ثم زعم ان (ضعف محمد الوحيد هو حبه الطاريء للنساء ...ولم يخف وجعلت قرة عيني في الصلاة وهذا استدلال يعبر عن الجهل بحقائق الامور ، لان تعبير (قرة العين) يدل على شيء امى من الحب وان الصلاة العبارة الحقة والتي خلق الانسان من اجلها .
قال تعالى : (ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)
وان الحياة الدنيا ما هي الا متاع زائل ينفذ المسلم سواء كان ذلك طيبها ام نساؤها ولكن قرة عين المؤمن الصلاة الخالصة لله تعالى لانها باقية .
ان دراسة المتشرقين كانت متعددة الاهداف من حاول ايجاد ثغرة تمكنه من الطعن في العروبة والاسلام من خلالها ، وان ما كتبه غولد ت في العقيدة والتشريع ومذاهب التفسير الاسلامي في (محمد في مكة) وكتابات مارغليون نماذج حية لهذا الاتجاه ، وبعضهم توخى كتابة رسائل علمية لنيل درجات علمية فكان الجهل باللغة العربية والافتقار الى المصادر الاساسية ، واعتماد ادلة ضعيفة وواهية ، وعدم معرفة المناهج العلمية للعلماء العرب المسلمين ، عوامل افسدت عليهم منهجهم العلمي ولم تنفعهم ولا موضوعيتهم في البحث عندما توضع في ميزات النقد ، ومع ذلك فلقد

---

[١] سورة الشورى ، الآية ٥٢ .
[٢] سورة العنكبوت ، الآية ٤٨ .
[٣] سورة ص ، الاية ٧٠ .
٤ لوبون ، حضارة العرب ، ص١٨ .

كونوا مؤثرين الى حد ما ومسؤولين الى حد كبير في نقل تصور مشوش غير دقيق عن العرب والمسلمين[1].
ولقد اجهدوا انفسهم في اثارة الشكوك في تاريخ العرب والمسلمين وقيمهم ، وتطاولوا في كتاباتهم على النبي الكريم (ﷺ) ، وشككوا حتى في اسمه ، ولو تكنوا لاثاروا الشك حتى في وجوده ، وهذا مادفعهم الى الاستدلال بالشاذ والغريب ، فقدموه على المعروف والمشهور ، واستعانوا بالشاذ ولو كان متأخراً وكان من النوع الذي استغربه النقاد واشاروا الى نشوزه وتعمدوا ذلك لاثارة الشك[2].

تشويه ترجمة القرآن الكريم :
لقد كان سوء الترجمة المقصودة ، والتحريف المشوه عمداً للقرآن ومن ثم قصور فهم علماء النصارى لمترجمات سيئة قد خلق حاجزاً نفسياً ان لم يكن قد زاد في عمق هذا الحاجز الموجود اذا علمنا ان هذه الترجمات تحاشت ترجمة كل اسم او فعل فيه معنى التسليم والاسلام ، امثال : (مسلمون ، مسلماً ان الدين عند الله الاسلام)او انها اسقطت الكثير وحرفت الاكثر وتحولت كلمة والمسلمين ، الى (الاسماعيليين) او الى (السرسان) وامثال هذا كثير فأنهم حذفوا منه ماشاؤوا وحرفوا ماشاؤوا ، وادخلوا في الترجمة ماشاؤوا محمداً فجانبوا الامانة ، ولحقتهم الخيانة لان من ترجم القرآن مثال (روبرت اوف كيستون) لم يكن اميناً ، لانه اتبع ما تسميه الان بالرقابة على النشر فاصدر قرآناً جديداً مصنوعاً في الغرب ، فاعتمد المدافعون عن النصرانية على هذا القرآن وعلى امثاله من الترجمات الممسوخة وفسروها كما شاء لهم هواهم فكان سطرس المحترم وبيدرو باسكال وريكولدو وبخاصة اللاتين قد سمحوا لانفسهم ان يفهموا القرآن بطريقة ترجمتهم لهم فكانوا يفضلون تفسيرهم للقرآن على تفسير المسلمين[3].
ولقد
اقلق رفض المسلمين للتوراة والانجيل بأعتبارهما محرفين ارواح علماء النصرانية وصاروا اذا رأوا ان القرآن ذكر من شريعة موسى وعيسى مالم يألفون ، ودعا العالمين الى الايمان بما انزل الى الرسل والنبين بلا تفريق وتفضيل ، بيد انه انكر الاقاليم الثلاثة التي تقوم عليها ربوبية المسيح (ع)

---

[1] العاني ، عبد القهار ، الاستشراق والدراسات الاسلامية ،١٩٨٧ ، ص٧-٨ .
[2] علي، جواد ، تاريخ السيرة النبوية ، ص٩ .
[3] السامرائي ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ،ص٦٤-٦٥ .

عندهم وانكر انه يدعى عيسى بن مريم وذلك انكر فيما انكر الصلب الذي تدور عليه مسألة الذين الموروث فأكد : (ولاتزر وازرة وزر اخرى) فحطم دور الكنيسة في الشفاعة ، ودور المسيح في تحمل ذنوب العصاة فهم ، وقد جر هذه القلق بطرس المحترم الى التحدي المشوب بفقدان الثقة فقال مخاطباً المسلمين :

(اما ان ترفضوا القرآن لان ذكر حكايات وشرائع مأخوذة من كتب تعتبرونها انتم مزودة ، فالقرآن اذا ليس موثوقاً ، واما ان تعتبروا الكتب التي اقتبس منها القرآن موثوقة) .

وفي عام (١٩٧٠) كتب ريكاردو في مجلة الهلال :

وكون القرآن مصدقاً لما بين يديه من اكتاب واسقط :

(مهيناً عليه) فهذا يعني صحة الانجيل والتوراة من التخريف والا فانه يستحيل على المسلم ان يؤمن بأن القرآن نزل مصدقاً للكتاب محرف[١] .

وقال ريكاردو (ان علماء المسلمين لايؤمنون بأقوال القرآن ولكنهم يسخرون منه في السر ، اما في العلن فأنهم يظهرون له الاجلال خوفاً ورهبة.

وادعى ايضاً انه عندما كان في بغداد ظهر له (الانطباع بان الاسماعيلين لايؤمنون بالقرآن وذلك لانهم يرفضون النقاش فيه بحرية او يسمحون بترجمته الى لغات اخرى .

وقال ريموند لول : (ان دراسة الفلسفة والمنطق ممنوعة في الاسلام لان دراستها تقود الى الزندقة وافكار نبوة محمد ، وان تنصير المسلمين سهل لانهم تقتنعون بضلالات القرآن وقد اعتبر هؤلاء ان القرآن ملعقاً ومزوراً بمعناه ومحتواه وهذا الاعتبار يمكن ان يستقرأ حتى عند المثقفين اليوم في الغربة ، وكل الذي اراده كتاب القرون هو ابراز حقيقة واحدة لارائهم وهي ان الاسلام دين باطل وان النبي محمد (ﷺ) كاذب ، فكان اختلاق الحجج الكاذبة للهجوم على الاسلام والحط منه عاماً وشاملاً عند كتاب القرون الوسطى ولقد درسوا القرآن بترجماته المتعددة والمشوهة عمداً او جهلاً لا لاجل ان يفهموه على انه كتاب الهي بل انهم نقبوا فيه وقلبوه ظهراً بطن حتى يجدوا فيه سندا وذرعة على صحة الانجيل[٢] .

---

[١] المصدر نفسه ،ص٦٥ .

٢ بدوي ، عبد الرحمن ، دور العرب في تكوين الفكر الاوربي ، مطبعة دار القلم ، بيروت، ١٩٧٩، ص٥٨.

ولما امر القرآن اتباعه بالايمان بعيسى وبما انزل اليه . فاذن : ان الانجيل الذي بين ايديهم هو كتاب الهي ففرجوا بالثقة التي قدمها القرآن لهم وضؤا اليه بالثقة لان روح الاستقضاء السائدة اذ ذلك كانت ضيقة بفعل التعصب الذي زرعته الكنيسة ، ورهبانها امثال بطرس المحترم الذي كاتب كابه (في كل زندقة مذهب المسلمين الشيطانية الخبيث)[1] .

بعد ان تهيأ له ترجمات عديده لاثار اسلامية اصلية في اللاتينية ، فاتسمت التعليقات والشروح على هذه الترجمات بروح العداء الشديد فكانت آراء القرون الوسطى في الاسوأ قذرة مشوبة بالكذب والغش والجنون كما يقول ساوثرن .

وقد كانت من نتائج ترجمات القرآن والسيرة وشيوع كتاب الرحالين وروايات الصليبين ان بدأت تظهر الكتب الكثيرة الطعن والتجريح والسبب والسباب والشتم والشتائم واتخذوا قصة زيد وزينب سبباً للطعن في الرسول لانه من غير المقبول في العقل الاقطاعي ، الديني الطبقي في النصرانية اللاتينية ان يتزوج السيد وطلقه عبده ، وكيف ، وكيف يكون ذلك والطلاق ممنوع والانجيل يعلمهم : (ان من يتزوج امرآة مطلقة فقد افترق الزنا)[2] .

فقد نظر هؤلاء وما يزال المستشرقون اليوم ينظرون الى الاسلام القرون المشوبة بالخوف والقلق اللذين سيطرا على العقل الاوربي حتى اليوم .

وقد استغرب (بيدور باسكال) ان يدعي محمد (ﷺ) النسب الى ابن ملعون ومحروم (كما صور اسماعيل في التوراة)[3] .

وحاول هذا ان يربط بين يهوذا الذي خان المسيح وبين النبي (ﷺ) فتوصل الى ان :-

(العرب هم اعداء الكنيسة) ولفظة(عرب) ، اتراك ومسلمون بمعنها واحد اما وفاة الرسول (ﷺ) فقد حاكوا حولها الاساطير ، ومع انهم استمدوا بعض الحقائق التاريخية من ترجمة سيرة ابن اسحاق(ت١٥١هـ) في مسألة اليهودية التي ارادت ان تسم النبي (ﷺ) ، منتسبوا وفاته الى هذا السم ، متغافلين محمداً ان هذه الحادثة كانت قبل وفاته بسنين عديدة وتعمدوا ان يكذبوا حين قالوا : انه افرغ على جسده ماءً لانه اراد ان يعمد نفسه قبل

---

١ بوزورت ، س،أ، جوزيف شاخت ، تراث الاسلام ، الكويت ، ١٩٧٨،ص١٣٦.

[2] انجيل متي ، الجزء الخامس ،ص٣٢ .

٣ جب هاملتون ، دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة ، احسان عباس ،مطبعة دار القلم ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص٧٨ .

وفاته الا ان الشيطان منعه من ذلك . ولم يقف بهم الخيال والتلفيق عند حد بل اخذهم بعيداً فقالوا :
(ان جسد النبي اكلته الخنازير ولهذا السبب منع القرآن اكل لحم الخنزير ، وبمنطقة القرون الوسطى الطبقي الاقطاعي فانهم فسروا يتم وفقر النبي (ﷺ) على كونهما دليلين على ضعة نسبة وهناك اكثير من الافتراءات نزهت قلمي من ايراد الفحش الكثير[1].

[1] عبد المنعم ، نموذج من تهافت الاستدلال ، ص٢٩٩ .

الخاتمة :

الباحث اذ ينهي بحثه توصل الى أهم الاستنتاجات الاتية :-

لعب التاريخ على ايدي المستشرقين دورا سلبياً للغاية في تشويه صورة العرب ومنجزهم الحضاري وبالرغم من ان حركة الاستشراق قد سبقت الاستعمار فانها قوية وترسخت في القرن التاسع عشر مع بروز الاستعمار وانتشاره على الجزء الاكبر من الامة العربية ، لقد حاول الكثير من المستشرقين تكريس الصورة الغربية الخاطئة التي شاعة منذ العصر الوسيط وعبر التصادم والتفوق العربي ، مع ظهور مستشرقين فضلاء انصفوا العرب من خلال الحروب الصليبية .

ولقد كان للمستشرقين الريادة في دراسة تاريخنا وحضارتنا بسبب السيطرة الاستعمارية التي اتاحت ظروفاً نادرة لطمس معالم النهضة العربية والوقوف بوجهها ، وانشغال مفكرينا بأمور جزئية صرفتهم عن الحضارة العربية الاسلامية فعز وجود المتخصصين . وخلت الساحة العربية الاسلامية او كادت الا من اولئك الذين خططوا لهذا الوضع الراهن ، وبهذا كانوا رواداً في دراسة تاريخنا وحضارتنا .

وجملة القول فيما ارمي اليد ان المتشرقين قاموا بدورهم الفاعل والخطي فشكلوا اقوات متقدمة للتخريب المرتكزات القيمة والحضارية والدينية للامة العربية الاسلامية وبهدف تهيأة الاجواء لتمكين جيوش الغرب الاوربي من غزو للعقل العربي والاسلامي بالمعطيات الفكرية والحضارية الاوربية واخيراً انجاح القوى الاستعمارية في تكريس وجودها في العالم الاسلامي .

تم بحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الميامين

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

انجيل متي ، الجزء /٥ .

١. ابو خليل ، شوقي .

الاسلام في قفص الاتهام ، دار الفكر ، دمشق ،١٩٧٧م .

٢. ارنولد ، توماس .

الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

٣. بارتولد .

تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ، ترجمة صلاح الدين عثمان ،ط١ ، الكويت ،١٩٨١م.

٤. باز، عبد الكريم علي .

افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الاسلامي ، ط١ ، مكتبة تهامة ، جدة ،١٩٨٣ .

٥. بدوي ، عبد الرحمن .

دور العرب في تكوين الفكر الاوربي ، مطبعة دار القلم ، ط٣، بيروت ،١٩٧٩م.

٦. بروكلمان ، كارل .

تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه امين فارس ، دار العلم للملايين ، بيروت ،١٩٤٩ .

٧. بوزورت ، س ، أ ، جوزيف شاخت .

تراث الاسلام ، ترجمة نخبة من المتخصصين ، الكويت ،١٩٧٨م.

٨. بوكاي ، موريس .

القرآن والتوراة والانجيل والعلم ، اصدار جمعية الدعوى الاسلامية ، ليبيا ، (د.ت) .

٩. جب ، هاملتون

دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة احسان عباس واخرون ، مطبعة دار القلم ، بيروت ، ١٩٦٤ .

١٠. الجبري ، عبد المتعال محمد .

السيرة النبوية واوهام المستشرقين ،ط١ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٨م.

١١. الجندي ، انور .

الاسلام والثقافة الغربية ،مطبعة الرسالة ، مصر ،(د.ت) .

١٢.حتي ، فيليب .
الاسلام منهج حياة ، ترجمة عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٢ .
١٣. تاريخ العرب (المطول) ، ترجمة ادوارد جرجي ،ط٤ ، دار الكشاف ، بيروت ،١٩٥٦م .
١٤.السامرئي ،قاسم .
الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ،بغداد ،١٩٨٣.
١٥.العاني، عبد القهار .
الاستشراق والدراسات الاسلامية ، بغداد ،١٩٨٧.
١٦.عبد المنعم، شاكر محمود .
نموذج من تهافت الاستدلال في دراسات المتشرقين في مجلة المؤرخ العربي عدد ٣٠ ، ١٩٩٨ .
١٧.العفيفي ،نجيب .
المتشرقون ، القاهرة ، ج١ ، ١٩٦٣ .
١٨.علي ، جواد .
تاريخ السيرة النبوية ، بغداد ، (د.ت)
١٩.علي ، محمد كرد .
الاسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، ١٩٦٨ م
٢٠.فروخ ، عمر .
التبشير والاستعمار ، المكتبة المصرية ، بيروت ،١٩٦٤م.
٢١.كارليل ، توماس .
الابطال ، ترجمة محمد السباعي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، (د.ت)
٢٢.ناجي ، عبد الجبار.
تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ، الصغيرة في الموسوعة ،عدد٨٥ ،ص١٩٨١ .
٢٣.هيكل ، محمد حسنيين .
حياة محمد (ﷺ)، القاهرة ، ١٩٨٢ .